الجن في ركب المؤمنين في ضوء سورة الجن

دراسة موضوعية

إعداد

د. طه ياسين ناصر الكبيسي

قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية - كلية الآداب

جامعة البحرين - البحرين

مجـــلة

كلية الدراسات الإسلامية للبنين بأســـوان

مجلة علمية محكمة نصف سنوية

العدد السابع

إصدار يونيو ٢٠٢٤/٢٠٢٣م

الترقيم الدولي: ISSN ٢٨١٢-٥٢٦٦

موقع المجلة https://fisb.journals.ekb.eg

رئيس مجلس الإدارة والتحرير
أ.د. كامل محمد جاهين إسماعيل
أستاذ الحديث وعلومه
وعميد كلية الدراسات الإسلامية للبنين بأسوان

نائب رئيس مجلس الإدارة
أ.د. حسن إبراهيم مصطفى
أستاذ الحديث وعلومه المساعد
ووكيل الكلية لشئون التعليم والطلاب

مدير التحرير
د. أحمد فكري صديق
مدرس الفقه العام بالكلية

أعضاء مجلس الإدارة

أ.د. أحمد الأمير محمد جاهين
أستاذ التفسير وعلوم القرآن

د. حمدي محمد ضيف حسين
مدرس التفسير وعلوم القرآن

د. سامي خميس بهنسي
مدرس أصول الفقه بالكلية

د. محمد رمضان
مدرس أصول الفقه بالكلية

الهيئة الاستشارية
أ.د / طارق عثمان الرفاعي إبراهيم
أستاذ الدراسات الإسلامية بكلية الآداب
جامعة الملك فيصل بالمملكة العربية السعودية

أ.د/ بلخير طاهري الإدريسي
أستاذ أصول الفقه بجامعة وهران - بالجزائر

أ.د/ أحمد عبد العزيز السيد سليم
أستاذ أصول الفقه بجامعة البحرين - بالبحرين

الجن في ركب المؤمنين في ضوء سورة الجن – دراسة موضوعية

طه ياسين ناصر الكبيسي

قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، كلية الآداب، جامعة البحرين، البحرين.

البريد الالكترونى: dr.kh35@yahoo.com

ملخص البحث:

يتناول بحث (الجن في ركب المؤمنين في ضوء سورة الجن، دراسة موضوعية)، سورة الجن وفق منهج التفسير الموضوعي لسورة قرآنية، فقد بين البحث حقائق تتعلق بالجن، وأنهم عالم غيبي، نتلقى المعلومات عنه من النقل الصحيح فقط، وقد أوردت السورة الكريمة من الحقائق حول هذا العالَم، منها: أن الجن مكلفون، وأن الله تعالى منحهم عقولًا يستطيعون بواسطتها تمييز الخير من الشر. وأنهم كالإنس، منهم الصالحون ومنهم الفاسدون. وأنهم فهموا القرآن الكريم، وتأثروا بما استمعوا، وآمنوا فور استماعهم. أن الأسباب التي أدت إلى انحراف الجن في العقيدة، هي نفسها التي أصابت الإنس. وهي تسليم زمام العقل للغير، وافتراض حسن الظن به، ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾

تكمن أهمية البحث في أن الجن عالم غامض عند الكثيرين، ويغلب على ظنهم أنهم عالم شرير، كما جلى البحث حقيقة لا تزال في أذهان كثير من الناس، وهي اعتقاد معرفة الجن بالغيب، فبينت السورة بجلاء خطأ هذا الاعتقاد.

ومما توصل إليه البحث: أثر القرآن فيمن استمع له وأنصت. وعِظَم منزلة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عند ربه، فلئن أعرض عنك كثير من الإنس، فها هم الجن يؤمنون بما جئت به.

الكلمات المفتاحية: الجن، القرآن، الغيب، الهداية، الإيمان.

The Jinn among the believers In the light of Surat Al-Jinn

Taha Yassin Nasser Al-Kubaisi Facultad de Artes Departamento de Lengua Árabe y Estudios Islámicos Universidad de Bahréin Correo electrónico.

E-mail: dr.kh35@yahoo.com

Research Summary:

This research discusses "The Jinn among the Believers in the Light of Surat Al-Jinn." It examines Surat Al-Jinn using an objective approach to Quranic interpretation. The research presents facts related to the Jinn, highlighting that they are beings of the unseen, and we only receive accurate information about them through authentic sources. The Surah provides valuable insights into this realm, including:

1. The Jinn are accountable beings, and Allah has granted them intellect to distinguish between good and evil.
2. They are similar to human beings, with both righteous and corrupt among them.
3. They understood the Quran when they heard it and were influenced by its message, immediately believing in it.
4. The reasons that led to the deviation of the Jinn in their beliefs are the same as those that affected human beings, which involve surrendering one's intellect to others and making unwarranted assumptions about them. ("And we had thought that mankind and the Jinn would never speak about Allah a lie.")

The research also concludes the following:

1. The impact of the Quran on those who listen to it and pay attention to its message.
2. The elevated status of the Prophet Muhammad (peace be upon him) in the sight of Allah. Even though many humans turn away from him, the Jinn believe in what he brought.

The importance of this research lies in the fact that the Jinn remain a mysterious world for many people, and it is commonly believed that they are inherently evil. However, the research clarifies a

truth that is still ingrained in the minds of many, which is the misconception that the Jinn have knowledge of the unseen. The Surah clearly refutes this belief.

Keywords: Jinn, Quran, the unseen. Guidance. Faith.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثره واتبع هداه.

أما بعد، فلا شك أن علم التفسير من أهم العلوم التي ينبغي أن يصرف فيه طالب العلم نفيس أوقاته، ولقد تعددت أنواع هذا العلم، وكان للتفسير الموضوعي في زماننا هذا مزيد اهتمام؛ لأمور كثيرة، لعل أبرزها أنه يعالج القضايا المعاصرة، ويلقي الضوء القرآني عليها، وللتفسير الموضوعي أنواع متعددة، اخترت منها في بحثي هذا: تناول موضوع من خلال سورة، إذ لفت نظري وأنا أتأمل هذا السورة مع ما قبلها فلمست نفور كثير من الإنس من هذا الدين، في حين أقبل نفر من الجن يستمعون لهذا القرآن، فيتأثرون ويؤمنون، فما سر هذا التأثر، وما شأن أكثرنا لا يحصل له مثل ذلك، ولقد بدا لي بعد معايشتي لها أن محورها هو: دخول الجن في ركب المؤمنين، فقد تطرقت السورة الكريمة لهذا الركب، وسبب لحاقهم به، ونتيجة من يلحق به ومن يتخلف عنه، كما تحدثت عن أمير الركب -عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ-، وبينت إلامَ يدعو، ملخصة ذلك بأنه توحيد الله -عَزَّوَجَلَّ- وعدم الإشراك به، وهو إذ يدعوهم لذلك يصرح بأنه أول من يلتزم به ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴾ كما يعلق القلوب بالله تعالى في جلب النفع ودفع الضر ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا. قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾. وإذا كان هذا شأن الرسول -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فمَن دونه فهو من باب أولى.

هذا وقد قدمت لهذا البحث بمقدمة بينت فيها سبب اختيار الموضوع وأهميته، ثم مهدت له ببيان اسم السورة، ومرحلة نزولها، وعدد آياتها، وما ورد من روايات تتعلق بها، ثم تطرقت لمحور السورة، معقبًا ذلك بالمناسبات بين السورة، تلا ذلك عرض لمقاطع السورة، مبتدئًا بالافتتاحية، ثم المقطع الأول، وهو بعنوان: الجن ورحلة الإيمان، ثم المقطع الثاني: من صفات الركب والداعي إليه، ثم كانت خاتمة السورة،

تضمن كل ذلك بيان المعنى الإجمالي، ثم بيان الهدايات، ثم كانت خاتمة البحث، ثم ذكر المصادر والمراجع، والله تعالى أسأل أن يجعله خالصًا له، نافعا لمن قرأه، والله تعالى ولي التوفيق.

أهداف البحث:

- بيان أهمية الاستماع للقرآن الكريم بحضور قلب، وتحررِ عقل، للوصول إلى الحق.
- أن ضلال البشرية في تسليم عقولهم للآخرين ليفكروا بدلهم، مقدمين حسن الظن بهم.
- خطأ ما يعتقده كثير من العوام بأن عند الجن علمٌ بالغيب.

حدود البحث:

حدود هذا البحث سورة كريمة، هي سورة الجن.

منهج البحث:

تناولتُ هذه الآية الكريمة وَفق منهج التفسير الموضوعي في تناول السورة، وهو منهج معروف ومبثوث في الكتب التي أُلفت في هذا العلم.

مشكلة البحث:

- هل استماع القرآن الكريم يؤدي إلى الحق؟
- هل الجن يعلمون الغيب؟
- هل الجن أشرار كلهم؟

الدراسات السابقة:

هناك دراستان وَفق منهج التفسير الموضوعي حول هذه السورة:

الأولى: **"التناسق الموضوعي في سورة الجن، دراسة موضوعية تحليلية"** د. روضة

محمد بن ياسين، وواضح أن التناول لهذه السورة إنما هو لتناسقها الموضوعي، كما أنها شملت الدراسة التحليلية، في حين اقتصر هذه البحث على تناول السورة من محور (الجن في ركب المؤمنين).

والدراسة الأخرى بعنوان: "**حقيقة الجن من خلال سورة الجن**" ويتضح من العنوان اختلاف المحور الذي اختير مع محور بحثنا.

خطة البحث:

يتضمن البحث مقدمة وتمهيدًا وثلاثة مطالب:

المطلب الأول: افتتاحية السورة

المطلب الثاني: المقطع الأول: الجن ورحلة الإيمان

المطلب الثالث: المقطع الثاني: من صفات الركب والداعي إليه

المطلب الرابع: خاتمة السورة

يلي ذلك خاتمة البحث، وقد اشتملت على أهم نتائج البحث، وبعض التوصيات، ثم ذكر المصادر والمراجع.

التمهيـد
بين يدي السورة

اسم السورة

ذكر العلماء لهذه السورة أكثر من اسم، أشهرها: سورة الجن، قال الفيروز آبادي[١]: "سميت سورة الجن؛ لاشتمالها على الجن في قوله: ﴿يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ﴾، وقوله: ﴿نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ﴾."[٢]

وقد ترجم الإمام البخاري لها في صحيحه: (سورة قل أوحي إليّ)[٣]..، وسبب التسمية واضحة.

مرحلة نزول السورة

اتفق العلماء على أن هذه السورة مكية، فقد أوردها الزركشي[٤] تحت عنوان: ذكر ما نزل من القرآن بمكة ثم ترتيبه، وكان ترتيبها الحادية والسبعين، وهو أربع وثمانون سورة، ثم قال: " فهذا ترتيب ما نزل من القرآن بمكة، وعليه استقرت الرواية من الثقات، وهو خمس وثمانون سورة.[٥]

عدد آيات السورة

قال الفيروز آبادي: "آياتها ثمان وعشرون عند الكل، إلا مكة فإنها في عدهم سبع،

---

(١) محمد بن يعقوب بن محمد مجد الدين الشيرازي الفيروز آبادي، صنف الكثير، من ذلك «بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز»، و «تنوير المقباس في تفسير ابن عباس»، و «تيسير فاتحة الإياب في تفسير فاتحة الكتاب»، و «الدر النظيم المرشد إلى مقاصد القرآن العظيم"، وغيرها كثير، توفي سنة سبع عشرة وثمانمائة. انظر طبقات المفسرين للداوودي ٢/ ٢٧٤ - ٢٧٩.

(٢) بصائر ذوي التمييز، الفيروز آبادي١/٤٨٤.

(٣) ٦٥/ كتاب التفسير ٧٢/ سورة قل أوحي إلي.

(٤) محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، الإمام العلّامة المصنّف المحرّر، كان فقيهًا، أصوليًا، أديبًا. توفي سنة أربع وتسعون وسبعمائة. انظر شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي ٨/ ٣٨٤.

(٥) انظر لما تقدم البرهان في علوم القرآن، الزركشي ٢٨١/١، والسور التي عدها: أربع وثمانون لا خمس وثمانون. وانظر المحرر الوجيز، ابن عطية ٣٧٢/٥، والإتقان في علوم القرآن، السيوطي ١٩/١.

عَدُّوا ﴿لن يجيرني من الله أحدٌ﴾ وأسقطوا ﴿ملتحدًا﴾ في غير رواية البزي.[١]

وفي رواية البزي: لم يَعُدَّ ﴿لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾، ولم يعد ﴿مُلْتَحَدًا﴾، فصار في روايته سبعًا وعشرين، وفي الرواية الأخرى ثمانيًا وعشرين" [٢]

ما ورد من روايات تتعلق بهذه السورة:

أخرج البخاري بسنده عن ابن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قال: انطلق النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا بين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب، قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهو بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء. فهنالك حين رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا. يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾، فأنزل الله على نبيه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ﴿قُلْ أُوحِيَ﴾، وإنما أوحي إليه قول الجن.[٣]

وقد أخرج ابن أبي حاتم الرازي[٤] بسنده عن عكرمة[١] قال: كان الجن يَفرقون

---

(١) أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بزة. أبو الحسن البزي المكي، المقرئ قارئ مكة، توفي البزي سنة خمسين ومائتين. انظر معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، الذهبي/ ١٠٢-١٠٥.

(٢) انظر بصائر ذوي التمييز ٤٨٤/١، وانظر الإتقان في علوم القرآن ١٥٠/١.

(٣) صحيح البخاري بشرح فتح الباري ١٠/ كتاب الأذان، باب/ بَابُ الجَهْرِ بِقِرَاءَةِ صَلاَةِ الفَجْرِ، برقم ٧٧٣، وفي ٦٥/ كتاب التفسير، سورة (قل أوحي إلي) برقم ٤٩٢١ [يلاحظ في الرواية الأولى فأنزل، وفي الأخرى: وأنزل]، وهو في صحيح مسلم، ٤/ كتاب الصلاة، ٣٣/ باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن برقم (٤٤٩).

(٤) عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران أبو محمد التّميميّ

من الإنس كما يفرق الإنس منهم أو أشد، وكان الإنس إذا نزلوا واديًا هرب الجن، فيقول سيد القوم: نعوذ بسيد أهل هذا الوادي. فقال الجن: نراهم يفرقون منا كما نفرق منهم، فدنوا من الإنس فأصابوهم بالخبل والجنون، فذلك قول الله: وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقًا ".[٢]

محور السورة:

محور السورة كما يدل عليه اسمها يدور حول الجن وانضمامهم لركب المؤمنين في إشارة واضحة واتساق تام مع سورة نوح -عَلَيْهِ السَّلَامُ- التي عرضت صورًا لمن تخلف عن هذا الركب.

هؤلاء نفر من الجن استمعوا القرآن الكريم، وإذا بهم يعلنون إيمانهم وينبذون الشرك. هذا الأمر الذي لم يدركه كثير من الإنس.

ثم انطلقوا ينزهون الله تعالى عن اتخاذ الصاحبة والولد، واصفين من يتقول على الله تعالى بالباطل بالسفه، ثم ذكروا أنهم لم يكونوا يظنون أن يكذب الإنس والجن على الله تعالى، ثم أخذوا في بيان ما كان عليه حال الإنس من التعوذ برجال من الجن، وظنُّ الجميع بأن لن يبعث الله أحدًا، ثم ما كان منهم من طلب استراق السمع، ومنعهم من ذلك وسؤالهم عن سببه، وكيف أنهم منقسمون إلى صالحين ودون ذلك... إلى نهاية هذا المقطع.

الحنظليّ، الإمام الثبت ابن الإمام الثبت، حافظ الريّ وابن حافظها، من تصانيفه: «التفسير المسند»، وكتاب «الجرح والتعديل» يدل على سعة حفظه وإمامته، وغيرها، مات في المحرّم سنة سبع وعشرين وثلاثمائة. انظر طبقات المفسرين، للداوودي/٢٧٩ – ٢٨١.

(١) عكرمة بن عبد الله الحبر العالم البربريّ ثم المدني الهاشميّ، مولى ابن عباس، ثقة ثبت، عالم بالتفسير، مات رحمه الله سنة أربع ومائة بالمدينة، وقيل بعد ذلك. انظر طبقات المفسرين، الداوودي ٢/٣٨٠ – ٣٨١.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ١٠/ ٣٣٧٧. والسند صحيح إلى عكرمة، فهو مرسل صحيح، وانظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٨/ ٢٣٩.

ثم يأتي المقطع الثاني ليبين أنَّ من انضم لركب المؤمنين، فسيوسع الله له في الرزق، لكن ينبغي أن يعلم أن هذه التوسعة اختبار من الله تعالى، وأن من أعرض عن هذا الركب فإن له عذابًا شاقًا.

وخير أماكن يوجد فيها هذا الركب هي المساجد، التي ينبغي أن لا يدعى فيها مع الله تعالى أحد.

ثم أخذت الآيات في ذكر إمام الركب، والهادي بإذن ربه إلى طريق الإيمان: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾.

ما حال الداعي لهذا الركب ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ إن الداعي هو القدوة، وهو يعلن: أنه يعبد ربه ويدعو إلى ذلك، وهو لا يشرك به أحدًا، فمن شاء أن ينضم لهذا الركب فليفعل.

ثم يذكر المقطع بعض صفات النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ﴿ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا. قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٢) إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ ﴾.

أما من يتخلف عن الركب فيعصى الله ورسوله، فالخلود له في نار جنهم، وهناك يعلمون من أضعف ناصرًا واقل عددًا.

وكعادتهم يُصِرُّ المتخلفون عن الركب على الاستهزاء، فيسألون عن موعد يوم القيامة سؤالَ مُنكر ﴿مَتَى هُوَ﴾؟ [الإسراء: من الآية٥١]، ويأتيهم الجواب في هذه السورة، مبينًا أن علم ذلك عند الله تعالى وحده ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾، ولم يزعم النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه يعلم متى هو حتى يواجه بمثل هذا السؤال، لكنه التعنت، ولا يدري النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- متى هو، لكن الذي قد تيقن منه أنه آت لا ريب في ذلك.

ثم تأتي الخاتمة وفيها من صفة من يؤمن به هذا الركب، وهو الله -عَزَّوَجَلَّ- ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾، والعلاقة مع عباده إنما تكون عن طريق من ارتضاهم، وهو سبحانه لا يظهر على غيبه أحدًا، وبذا يتحدد العلم الغيبي، فمصدره

الله تعالى، وطريقه من ارتضاهم الله تعالى من الرسل، ولا شيء وراء ذلك، والجن من عالم الغيب، وعن طريق الوحي نتعامل معهم ونتعرف عليهم، لا عن طريق الشعوذة والكهانة والسحر.

المناسبات بين السورة:

أولاً: المناسبات بين اسم السورة ومحورها:

ما سبق قوله عن المحور، يدل دلالة واضحة على مدى التناسب بين اسم السورة ومحورها، فهي سورة الجن، ومحورها التحاق الجن بركب المؤمنين بعد استماعهم لآيات القرآن الكريم، والسورة كلها تدور حول هذا المحور.

ثانيًا: المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها:

بين افتتاحية السورة وخاتمتها مناسبات عدة، منها:

ابتدأت السورة بالأمر بالتبليغ ﴿قُلْ﴾، ثم كانت الخاتمة ﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ... ﴾. فبلَّغ النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، حتى لقد آمن له نفر من الجن....

الوحي إعلام في خفاء، فصُدِّرت السورة بـ﴿قُلْ أُوْحِيَ﴾، واختتمت بـ﴿عالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾، وكان هذا الأمر غيبًا، فإنه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لم يعلم بهم وباستماعهم في هذه المرة. حتى أظهر الله تعالى عليه نبيه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.(١)

---

(١) اختلف العلماء هل رأى الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الجن، على قولين: الأول، أنه-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لم يرهم، وهو قول ابن عباس، والقول الثاني، وهو لابن مسعود -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: أنه رآهم، وللعلماء في توجيههما أكثر من مسلك: الأول، ما ذهب إليه ابن تيمية من أن ابن عباس قد علم ما دل عليه القرآن من ذلك ولم يعلم ما علمه ابن مسعود وغيره من إتيان الجن إليه ومخاطبته إياهم وأنه أخبره بذلك في القرآن وأمره أن يخبر به، انظر مجموع الفتاوى، ابن تيمية ٣٨/١٩. المسلك الثاني: القول بتعدد القصة، يقول الآلوسي:" والآية ظاهرة في أنه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- علم استماعهم له بالوحي لا بالمشاهدة، وقد وقع في الأحاديث أنه -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- رآهم وجمع ذلك بتعدد القصة" انظر روح المعاني ٩٣/٢٩، وقال ابن حجر بعد ذكره للخلاف:" ويمكن الجمع بالتعدد" فتح الباري ٦٧٤/٩. ويبدو أن الرأي القائل بالتعدد هو الراجح، وهو ما يدل عليه سياق سورة الجن، وانظر فتح الباري =

صرح الجن في ابتداء السورة بمدى تأثرهم بالقرآن الكريم، حتى أثمر إيمانًا جازمًا، وهذا ما أكدته الخاتمة، من أن الوحي الرباني قد أُحيط بالعناية التامة فلم يتمكن الشياطين من أن يدسوا فيه شيئًا، ﴿... فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِم﴾، والمتأثر هنا هم الجن، وهم الأعرف بخبايا الشياطين.

ثالثًا: المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمة ما قبلها:

تُعَد خاتمة سورة نوح -عَلَيْهِ السَّلَامُ- كالتمهيد لافتتاحية هذا السورة، فقد ختمت تلك السورة بقوله تعالى:﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾ [نوح:٢٨] وقد دعا نوح -عَلَيْهِ السَّلَامُ- بهذا الدعاء بعد أن انتهى الصراع بين الحق والباطل، يطلب المغفرة له، ولمن دخل بيته مؤمنًا وللمؤمنين والمؤمنات، ويلاحظ التأكيد هنا على قضية الإيمان التي أعلنها الجن فور استماعهم للقرآن الكريم فانضموا لركب المؤمنين.

رابعًا: المناسبة بين مضمون السورة ومضمون ما قبلها:

تحدثت سورة نوح -عَلَيْهِ السَّلَامُ- عن فريق واجهوا الحق بالعناد والإصرار على الكفر، يستمعوا له، بل فروا منه، وإذا اضطروا إلى ذلك بأن غشيهم رسول الحق في أماكنهم وتجمعاتهم ﴿... جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ [نوح: من الآية٧]، كما تواصوا بعدم ترك آلهتهم، ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح:٢٣]، في حين نجد هذه السورة الكريمة تعرض المنهج الصحيح في التعامل مع الحق، الذي تمثل في القرآن الكريم هنا، والمتلقي له لم يكن من الإنس بل من الجن، ﴿اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ ﴾، فهم إذن استمعوا القرآن سماع مقبل واع، ولم يُعرِضوا عنه، أو يفروا منه، أو يَلْغَوا فيه، كما حكى القرآن الكريم عن المشركين في زمن الرسول الكريم -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ

٦٧٤/٩ - ٦٧٥ تجد مناقشة علمية لهذا الأمر. وفيه"... فتكون قصة الجن متقدمة من أول المبعث".

كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت:٢٦].

قال أبو حيان[١]: "ووجه مناسبتها لما قبلها: أنه لما حكي تمادي قوم نوح في الكفر، وعكوفهم على عبادة الأصنام، وكان -عَلَيْهِ السَّلَامُ- أولَ رسول إلى الأرض، كما أن محمدًا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- آخر رسول إلى الأرض، والعرب الذي هو منهم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- كانوا عبادَ أصنام، كقوم نوح، حتى إنهم عبدوا أصنامًا مثل أصنام أولئك في الأسماء، وكان ما جاء به محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هاديًا إلى الرشد، وقد سمعته العرب وتوقف عن الإيمان به أكثرهم، أنزل سورة الجن إثر سورة نوح، تبكيتًا لقريش والعرب في كونهم تباطؤوا عن الإيمان، إذ كان الجن خيرًا منهم[٢]، وأقبلَ للإيمان، هذا وهم من غير جنس الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ومع ذلك فبنفس ما سمعوا القرآن استعظموه وآمنوا به للوقت، وعرفوا أنه ليس من نمط كلام الناس، بخلاف العرب فإنه نزل بلسانهم وعرفوا كونه معجزًا، وهم مع ذلك مكذبون له ولمن جاء به حسدًا وبغيًا".[٣]

ورد في سورة نوح قوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (١٢)﴾، وفي سورة الجن: ﴿ وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا (١٦)﴾، والمناسبة بَيّنة.[٤]

ذكرت سورة نوح منهج التقليد غير المتبصر: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾، وفي سورة الجن ذكرت ما ينبغي أن يفعله كلُّ عاقل،

---

(١) محمدُ بنُ يوسفَ بن علي بن حيان، أبو حيان، النحوي، اللغوي، المفسر، له مشاركةٌ في عدَّةِ علومٍ، من كتبِه: «البحر المحيط» في التفسيرِ، و«تحفة الأديب بما في القرآن من الغريب»، توفي بالقاهرة بعد أن كُفَّ سنة (٧٤٥). انظر نكت الهميان، للصفدي/٢٦٦.

(٢) في الأصل: خيرًا لهم، ولعل الصواب ما أُثبت، وينبغي أن يشار إلى أن الدقة تقتضي أن يقال: إذ كان هؤلاء خيرًا منهم، وليس كل الجن خير من قريش والعرب، كما لا يخفى. إلا أن يقال: إن (ال) في الجن للعهد.

(٣) البحر المحيط، أبو حيان ٣٣٩/٨.

(٤) انظر تفسير المراغي ٩٢/٢٨، والتفسير المنير، الزحيلي ١٥٥/٢٩.

وذلك عندما استمعوا القرآن الكريم فأثر ذلك فيهم، دون أن يكون لسفيههم أو لغيره سلطان على قلوبهم وقرارهم.

ذُكر في سورة الجن مآل العصاة: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا. ﴾، وعاقبة من يُعرض عن ذكر ربه ﴿ وَمَنْ يُعْرِضْ عنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾، وفي سورة نوح: ﴿ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾.(١)

ورد في سورة نوح بعد ذكر عاقبة المكذبين في الدنيا ﴿فلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾، ونَصَّت سورة الجن على أن الأمر كذلك يوم القيامة ﴿حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾، فما كانوا يؤملونه من كثرة العدد والعُدة ضعيف لا قيمة له.

وهناك مناسبة خفية بين السورتين أشار لها البقاعي(٢)، فهو يرى أن في سورة الجن بيان شرف النبي -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- إذ أقبلت عليه قلوب الجن وهو في آخر الزمان، في حين أن نوح -عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ- وهو أول نبي ما آمن معه إلا قليل. كما أن مدة مكث النبيين الكريمين بين قوميهما متفاوتة، فلم يلبث رسولنا الكريم -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- ربع العشر مما لبثه نوح -عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ- في قومه.(٣)

(١) انظر التفسير المنير ١٥٥/٢٩.

(٢) إبراهيم بن عمر بن حسن الرِّبَاط الخرباوي البقاعي، له نظم الدُّرَر فِي تناسب الْآي والسور، لطيف الحجم يتعلَّق بعلم التَّفْسِير، والْفَتْح الْقُدسِي في تَفْسير آية الْكُرسي، توفي في سنة خمس وثَمَانِين وَثَمَانمِائَة. انظر طبقات المفسرين، للأدنه وي/ ٤٥٣.

(٣) انظر نظم الدرر ١٨٠/٨.

عرض مقاطع السورة

المطلب الأول

افتتاحية السورة

افتتاحية السورة . والله أعلم . هي قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢)﴾.

التفسير الإجمالي:

أمرٌ رباني للرسول الكريم محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن يقول للعالمين هذا الأمر، وهو لم يقله من تلقاء نفسه، بل بوحي من رب العالمين، وحقيقة هذا الأمر العظيم الذي نزل الوحي بشأنه، وأُمر الرسول بتبليغه، وصدر بـ ﴿قُلْ﴾ للدلالة على أهميته، ووجوب السرعة في إبلاغه، هو أن جماعة من الجن . ما بين الثلاثة إلى التسعة . استمعوا لهذا القرآن العظيم، منصتين، وإذا استحضرنا مرحلة نزول السورة، وأنها قد نزلت بمكة، فهذا يعني أنها ستصل إلى مسامع المشركين، وهم قد سمعوا القرآن مرارًا، فماذا يعني أن الجن استمعوا له؟ لا شك أن هذه الافتتاحية ستهيئ أذهان القوم لاحتمالات كثيرة، أبعدها أن الجن قد آمنوا . فضلًا عن أن يسارعوا إلى ذلك.

ثم ماذا حدث بعد استماعهم، لقد دخل الإيمان في قلوبهم، وأيقظ فِطَرهم، فأبدوا تعجبهم من فصاحته، ومن نظمه البليغ، ثم بينوا صفة أخرى، وهي متعلقة بمعناه: ﴿ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ ﴾ أي: " يدل على الحق، وسبيل الصواب"[(١)]، ثم أعلنوا إيمانهم به دون تردد، أو نظر إلى تقاليد ورثوها من عقول حرفت فطرتهم عن بلوغ الرشد، فزينوا لهم الباطل، ولذا أعلن هؤلاء النفر نفيهم العَوْد مستقبلًا لذلك الماضي ﴿وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾، مهما كان هذا الإله المزعوم، وكيف نشرك مع الرب: الخالق المالك المدبر غيرَه ممن لا يملك لنفسه فضلًا عن غيره ضرًا ولا رشدًا، وبذا أعطوا درسًا لكل مَن أشرك مع الله أحدًا، وفيه إشارة إلى تبكيت العرب الذين تقاعسوا عن الإجابة،

(١) جامع البيان ٢٥٨/١٢، وانظر تفسير القرآن العظيم ٢٣٧/٨.

وهم يعرفون من رشد القرآن بمعناه ونظمه لكونه بلسانهم، وكونهم من نوع الداعي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وأقرب الناس إليه.(١)

من هدايات الافتتاحية:

القرآن الكريم من عند الله تعالى، وليس للرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلا التبليغ ﴿قُلْ أُوحِيَ..﴾.

علم الغيب قد استأثر الله تعالى به، فهذا رسولنا الكريم -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قد استمع الجنُّ لقراءته وكانوا نفرًا، ولم يشعر -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بهم".(٢)

الجن موجودون، وفيه رد على من أنكر ذلك، وهم يفهمون اللغة العربية، ويدركون إعجاز القرآن، ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾، وهم مكلفون ﴿فَآمَنَّا بِهِ...﴾.

الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، مبعوث للثقلين: الإنس والجن. أما الأنس فالأمر ظاهر، وأما الجن ففي العقيدة الطحاوية وشرحها: وهو المبعوث إلى عامة الجن، أما كونه مبعوثًا إلى عامة الجن، فقال تعالى: حكاية عن قول الجن: ﴿يَاقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ الآية، [الأحقاف:٣١]، وكذا سورة الجن تدل على أنه أرسل إليهم أيضًا.(٣)

الجن استمعوا القرآن الكريم ولم يسمعوا، وفيه تنبيه على أن أثر القرآن الكريم يكون لمن فعل ذلك.

التوفيق بيد الله تعالى، فقد تأخر كثير من الإنس، مع علمهم بصدق الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأمانته، وقد نشأ بينهم... مع كثرة ما يسمعون منه: القرآن وغيره...

تأثير القرآن العظيم في النفوس المهيأة والقلوب السليمة، وأنه يكفي لإحداث هذا التأثير مجرد الاستماع له، ولعل في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ...﴾ [التوبة: من الآية ٦] ما يؤكد هذا.

---

(١) انظر نظم الدرر، البقاعي ١٨١/٨. وفتح القدير، الشوكاني ٣٢٦/٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٧/ ٢٩٠.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز ١٦٨.١٦٧/١. بحذف يسير.

استماع القرآن الكريم كان كافيًا في هداية هؤلاء الجن، فما أحرى الدعاة أن يحرصوا على إيصاله إلى العالمين، وإسماعهم كلام ربهم، تُذكر هذه الهداية ونحن نستحضر محاضرات بعض الدعاة ممن يكاد حديثه يخلو من ذكر آية واحدة، فعلى الدعاة أن يجربوا هذا الأسلوب القرآني في الدعوة، وهم واجدون أثره العظيم ولا ريب.

على الدعاة أن يبلغوا دعوة الله تعالى دون النظر في النتائج، ودون وضع المعوقات، بل ودون الالتفات إلى بعض المظاهر التي من شأنها أن تصرف عن الدعوة.

لن يصلح أمر العالمين إلا بالقرآن الكريم، وبالسنة المطهرة، فهما الوسيلة لبلوغ الهداية وإدراك الحق والصواب في كل شأن من شؤونهم، وما لم تتوقف البشرية عن استيراد النظم البشرية التي من أخص صفاتها النقص والهوى، فإنها ستظل تتخبط في مهاوي الضلال، وستضطر في كل مرة إلى تغيير نُظُمها، مما يجعل الأجيال حقلًا للتجارب، وعرضة للشقاء.

الإيمان لوحده لا يكفي ما لم يصاحبه عدم الإشراك بالله تعالى، بل إن الإيمان لا يعتد به في هذه الحالة، ولذا أظهرت الآية الكريمة هذا الأمر، حتى لا يغتر المشركون بما قد يسمونه إيمانًا بالله، وهم في الوقت نفسه يشركون، ولخطورة هذا الأمر نصت آية كريمة مكية عليه، يقول -عَزَّوَجَلَّ-: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦]، "قال ابن عباس: من إيمانهم أنهم إذا قيل لهم: من خلق السماوات، ومن خلق الأرض، ومن خلق الجبال؟ قالوا: الله، وهم مشركون به".[١]

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٤/٤١٨.

المطلب الثاني

المقطع الأول: الجن ورحلة الإيمان

قال تعالى:﴿ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا.(٣) وَأَنَّهُ كانَ يَقُولُ سَفِيهُنا على اللَّهِ شَطَطًا.(٤) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا.(٥) وَأَنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الْجِنِّ فزَادُوهُمْ رَهَقًا.(٦) وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَما ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا.(٧) وَأَنَّا لَمَسْنا السَّماءَ فَوَجَدْناها مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا.(٨) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْها مَقاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهابًا رَصَدًا.(٩) وأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا.(١٠) وأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُون وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرائِقَ قِدَدًا.(١١) وأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا.(١٢) وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا.(١٣) وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا.(١٤) وأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا.(١٥)﴾.

مناسبة المقطع الأول لافتتاحية السورة:

ما أن استمع الجن للقرآن الكريم حتى تأثروا به، ﴿ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴾ وأكدوا كلامهم، فهو حقيقة أمر يدعو للشك، فهؤلاء الجن الذين من طباعهم النُّفرة، وقد نبتوا في منابت الشر، عالَمٌ عاصف بالشرور المحرقة،[1] يأتي هؤلاء النفر فيستمعون القرآن العظيم، وإذا بقلوبهم تَتَفَتَّح له، وإذا بالإيمان يعمرها، ثم يأتي هذا المقطع ليبين ما أُجمل من كلام الجن، فإذا بهم ينزهون ربهم الذي آمنوا به للتو، وكأن داعي الفطرة السليمة تحرك فيهم ﴿ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾، ثم انطلقوا يتحدثون عن السبب في عدم إيمانهم قبل ذلك، وأمور أخرى من عالمي الإنس والجن...

التفسير الإجمالي للمقطع:

قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾، أي: تعالت عظمة ربنا

(١) انظر التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب ١٢٠٨/٢٩.

وقدرته وسلطانه عن أن يتخذ زوجة أو ولدًا؛ لأن الزوجة إنما تكون للضعيف العاجز الذي تضطره الشهوة الباعثة على اتخاذها، وأن الولد إنما يكون عن شهوة ألجأته إلى الوقاع...،[١] ويلاحظ هنا أمر: أن العرب كانت تزعم أن الملائكة بنات الله، ويقولون: صاهَرَ الْجِنّ،[٢] ولذا فإن مقولة الجن هذه تبطل هذا الزعم.

ثم عادوا باللوم على من يروج لمثل هذه الضلالات ووصفوه بالسفاهة: ﴿وَأَنَّهُ كانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلى اللَّهِ شَطَطًا﴾، والسفيه المذكور هو إبليس في قول كثير من المفسرين، ورأى بعضهم أنه اسم جنس لكل سفيه، ولا شك أن إبليس زعيم السفهاء.[٣]

وقد يُتساءل عن السبب الذي جعلهم ينقادون لسفهائهم، فكان قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾، بمثابة الاعتذار عن ذلك، فما كانوا يحسبون أن أحدًا يجترئ الكذب على الله، كيف وقد قال بهذا القول كثير من الإنس والجن، ومخالفة أمر كهذا لا يكون إلا بتأييد رباني.[٤]

ثم ذكروا شبهة أخرى، زادت الفريقين ضلالًا: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾، قال ابن كثير: " أي: كنا نرى أن لنا فضلًا على الإنس لأنهم كانوا يعوذون بنا إذا نزلوا واديًا أو مكانًا موحشًا من البراري وغيرها، - كما كانت عادة العرب في جاهليتها - يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان أن يصيبهم بشيء يسوؤهم، كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وذمامه وخفارته، فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم، زادوهم رهقًا: "أي خوفًا وإرهابًا وذعرًا، حتى بقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذًا بهم"[٥]، وللعلماء في قوله تعالى: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ قولان:

---

(١) انظر جامع البيان ٦٠/١٢.

(٢) انظر تفسير عبد الرزاق الصنعاني ١٠٦/٣.

(٣) انظر جامع البيان ٢٦٢/١٢، والمحرر الوجيز١٨٤/٥، وتفسير القرآن العظيم ٢٣٩/٨، ونظم الدرر ١٨٤/٨.

(٤) انظر جامع البيان ٢٦٢/١٢، ونظم الدرر ١٨٤/٨.

(٥) تفسير القرآن العظيم ٨/ ٢٣٩. وانظر جامع البيان ٢٦٣/١١٢.

أحدهما: أن الإنس زادوا الجن رهقًا لتعوذهم بهم. والمعنى على هذا: زادوهم طغيانًا وغيًا.

والثاني: أن الجن زادوا الإنس رهقًا، وهذا ما ذكره ابن كثير، من أن المعنى: خوفًا وإرهابًا وذعرًا...

ويظهر أن لا مانع من الأخذ بالقولين، فالجن زادت الإنس خوفًا وذعرًا لما لجئوا إليهم، وآل أمر هذا الالتجاء إلى طغيان الجن وغيهم، ومآل القولين إلى حصول الإثم، وهو تفسير الرهق عند كثير من العلماء.(١)

ويتواصل قول الجن، فيذكرون أن الجن ظنوا كما ظنَّ الإنس أن لن يبعث الله تعالى أحدًا من الرسل، أو لن يكون هناك بعث يوم القيامة،(٢) وكان ذلك ظنًا ظنوه!

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾، يذكر الجن هنا أنهم تَطَلَّبوا السماع من الملائكة كما كانوا يفعلون قبل بعثة المصطفى -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وجدوها قد ملئت حرسًا شديدًا وشهبًا، ولم تَعُد هناك مقاعد يطمئنون في الجلوس فيها ليسترقوا السمع؛ لأنها قد ملئت الآن حرسًا شديدًا من سائر أرجائها، حرسًا لم يُعهد من قبل... كما أن السماء حُفظت بالشهب، فترجُم من يحاول استراق السمع.(٣) وقد أبدوا استغرابهم مما حدث؛ لأنهم كانوا يفعلون ذلك، ويُمكنون من سماع بعض ما يقال: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾، فمهما اجتهد الآن وحاول السماع، فإنه سيجد شعلة نار قد أعدت لأجله، وإذن فلا سَمْع بعد الآن كما قال -عَزَّوَجَلَّ-: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء:٢١٢].(٤)

---

(١) انظر جامع البيان ٢٦٤/١٢.

(٢) لفظ الآية يحتمل القولين، انظر المحرر الوجيز ٣٨٠/٥ – ٣٨١. وانظر جامع البيان ٢٦٥/١٢، وتفسير القرآن العظيم ٨/ ٢٤٠.

(٣) انظر لذلك: جامع البيان ٢٦٥/١٢، والتفسير الكبير، الرازي ١٥٨/١٥، وتفسير القرآن العظيم ٢٤٠/٨، ونظم الدرر١٨٨/٨.

(٤) انظر جامع البيان ٢٦٥/١٢، ونظم الدرر ١٨٨/٨.

وقد تساءل الجن عن سبب ما حدث، ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾، أي: لا نعلم أعذابًا أراد الله أن يُنْزِله بأهل الأرض بمنعه إيانا السمع من السماء ورجمه من استمع من فيها بالشهب، أم أراد بهم ربهم الهدى بأن يبعث منهم رسولًا يرشدهم إلى الحق.(١)

وهذا السؤال كان قبل سماعهم القرآن الكريم، فما كانوا يظنون آنذاك أنه من أجل الوحي؛ لأنهم ظنوا أن لن يبعث الله أحدًا فلما استمعوه علموا السبب....(٢)

أو يقال: إن المراد "لا ندري أيؤمن الناس بهذا النبي فيرشُدون، أم يكفرون به فينزل عليهم الشر".(٣)

ثم أخبروا عن أنفسهم فقالوا:﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾ أنا منّا العاملون بطاعة الله، ومنا دون الصالحين في الصلاح، وجعل بعض العلماء ﴿دُونَ ذَلِكَ﴾ بمعنى الشرك، والأول أولى؛ فإن ما بين الصلاح إلى الشرك مراتبَ كثيرة، وكلها تندرج تحت ﴿دُونَ ذَلِكَ﴾، والجن كالإنس متفاوتون في الصلاح.(٤)

وهل عَنَوا بذلك أن الأمر كان كذلك قبل استماعهم القرآن الكريم أو بعده، الظاهر " أن الأول أولى؛ فقد كان من الجن من آمن بموسى وعيسى ـ عليهما السلام ـ وقد أخبر الله عنهم أنهم قالوا: ﴿يَاقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الأحقاف:٣٠]، وهذا يدل على إيمان قوم منهم بالتوارة، وكان هذا مبالغة منهم في دعاء من دعوهم إلى الإيمان، وأيضا لا فائدة في قولهم: نحن الآن منقسمون إلى مؤمن وإلى كافر".(٥)

والمراد من إيراد هذا الخبر ـ وهو معلوم للمخاطب ـ دعوة الجن أقوامَهم إلى

---

(١) انظر جامع البيان ٢٦٦/١٢، وتفسير القرآن العظيم ٢٤٠/٨.

(٢) انظر أضواء البيان، الشنقيطي ٣٣٠/٧.

(٣) المحرر الوجيز ٣٨١/٥.

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن ١٩/١٥. وفتح القدير ٣٢٩/٥.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١٩/١٥. وانظر أنوار العقل السليم ٣١٦/٦،

الإسلام، والانضمام تحت لوائه، وترك التفرق المذموم. فكأنهم قالوا: كنا متفرقين فمنا الصالح ومنا دون ذلك، والآن وقد استمعنا لصوت الحق، فقد آن لنا أن نوحد اعتقادنا، ونؤمن بربنا.(١)

ثم بينوا علمهم بقدرة الله تعالى عليهم أينما كانوا ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لنْ نُعجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا﴾، أي: " علمنا وأيقنا، أن لن نعجز الله في الأرض، أي لن نفوته إن أراد بنا أمرًا، ولن نعجزه هربًا، إن طلبنا.(٢)

ثم يصفون حالهم عندما استمعوا القرآن الكريم، ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الهُدَى آَمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخافُ بَخْسًا وَلا رَهَقًا﴾ لما سمعنا القرآن الكريم صدقنا به وأقررنا أنه حق من عند الله، من غير تردد ولا إحجام.(٣)، وبعد أن بينوا مسارعتهم للإيمان بخالقهم ورازقهم، ذكروا جزاء من يفعل هذا: ﴿فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسًا ولا رهقًا﴾ " لا يخاف أن يُنقص من حسناته فلا يجازى عليها ﴿ولا رَهَقًا﴾: ولا إثمًا يُحمل عليه من سيئات غيره أو سيئة يعملها".(٤)

﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ أي: وأن منا ـ بعد استماع القرآن ـ الذين قد خضعوا لله بالطاعة، وأسلموا له قيادهم،(٥) و "هم الذين آمنوا بالنبي -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ-، ﴿ومِنَّا القاسِطون﴾ أي: الجائرون الظالمون الذين حادوا عن طريق الحق، ومالوا إلى طريق الباطل"(٦)، ثم بينوا جزاء الفريقين: ﴿فَمَن أَسْلَمَ﴾ "فمن خضع لله بالطاعة"(٧)، ﴿فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ توخوا وقصدوا طريق

(١) انظر التحرير والتنوير٢٩ /٢٣٣.
(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي ٨/ ٢٤٠.
(٣) انظر جامع البيان ٢٦٧/١٢، ونظم الدرر ١٩١/٨.
(٤) جامع االبيان١٢ /٢٦٧. وانظر الجامع لأحكام القرآن ١٦/١٩-١٧.
(٥) انظر جامع البيان ٢٦٧/١٢، والجامع لأحكام القرآن ١٧/١٩، ونظم الدرر١٩١/٨.
(٦) فتح القدير ٣٣٠/٥، وانظر معالم التنزيل ٢٤٠/٨.٢٤١.
(٧) جامع البيان ٢٦٨/١٢.

الحق باذلين الجهد في طلب ذلك.[١] فعليكم أن تقتدوا بهم، وتتوخوا هذا الطريق؛ لتنالوا ذلك الرشد، لكي لا تكونوا لجهنم حطبًا.

من هدايات المقطع الأول:

الفطر السليمة إذا غُذيت بنور القرآن، عرفت ربها ونزهته، فهؤلاء الجن لم يدرسوا العقيدة، ولم يتعمقوا فيها، ولم يحتاجوا إلى علم كلام ولا غيره، فطرة رائدها القرآن الكريم، ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾. ترى كم هم الذين ينسبون لله تعالى الولد، وقد حصلوا على أعلى الشهادات، لكن غاب عنهم نور القرآن؟

القرآن الكريم مع أنه سببٌ للهدى، ولكن الجن سموه هدًى، وفيه دلالة على توفيق الله لهم، إذ أدركوا ما لم يدركه كثير من مثقفي القرن الواحد والعشرين، فراحوا يلتمسون الهدى في غيره.

في قول الجن سمعنا الهدى، ولم يبنوا أنه هدى في أي شيء دلالة على أن القرآن الكريم هدى في كل شيء، ولكل عصر ومصر.

في قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا. يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾، ما يدل على سرعة استجابة الجن، وفيه تعريض بالمشركين وتوبيخ، فلقد تباطؤوا عن الإجابة، مع أن القرآن بلغتهم، والرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- منهم،[٢] في حين أن الجن آمنوا بسماع القرآن مرة واحدة، وانتفعوا بسماع آيات يسيرة منه، وأدركوا بعقولهم أنه كلام الله، فآمنوا به.[٣]

التوحيد أعظم ما يرشد إليه القرآن الكريم، ولذا أبرز الجن هذا الأثر فيهم، فأعلنوه: ﴿فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾، وإذا كان الأمر كذلك، فينبغي على السائرين على هدي القرآن أن يجعلوا دعوتهم للتوحيد وإفراد الله تعالى بالعبادة أولى ما

(١) انظر مجاز القرآن، أبو عبيدة ٢٧٢/٢، والمحرر الوجيز ٣٨٢/٥، والتفسير الكبير ١٦٠/١٥، وتفسير القرآن العظيم ٨/ ٢٤٢، ونظم الدرر ١٩٢/٨.

(٢) نظم الدرر ١٨١/٨، بتصرف يسير، وانظر الجامع لأحكام القرآن ٧/١٩.

(٣) فتح القدير ٣٢٦/٥.

يُعْنَون به.

مما ينافي عظمة الرب، اتخاذ الصاحبة والولد؛ لأنه ضعف ينشأ من الحاجة إليهما، ولقد فطن لهذا الأمر الجن، في حين عَمِي عنه كثيرون.

في قوله تعالى: ﴿أَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾، دلالة على أن الاغترار بالأكثرية ليس صحيحًا، وأنهم قد يكونون على خطأ، وأن المرجع في إدراك الصواب هو الوحي الرباني.

لا عذر للعوام في اتباع السادة والقادة، أو التذرع بأن الناس كلهم على هذا القول، وبخاصة في أمر العقيدة، فقد تبين الرشد من الغي، وهاهم الجن من مجرد سماع القرآن أيقنوا خطأ ما كانوا قد ظنوه صوابًا، فحري بمن يتلو كتاب الله تعالى، أن تصفو عقيدته، ويصح إيمانه. قال الرازي[١]: "وهذا إقرار بأنهم إنما وقعوا في تلك الجهالات، وأنهم إنما تخلصوا عن تلك الظلمات ببركة الاستدلال والاحتجاج"[٢].

يستفاد من قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزادُوهُمْ رَهَقًا﴾ أن التجاء القلب لغير الله -عَزَّوَجَلَّ- في جلب نفع أو دفع ضر، عواقبه الخوف والذعر والقلق والحيرة.[٣]

في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ بيان أن منشأ القول بعدم البعث، هو الظن لا اليقين، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [النجم:٢٨].

في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ ما يدل على لطف الله تعالى بخلقه ورحمته بعباده وحفظه لكتابه العزيز؛ ذلك أن الله -عَزَّوَجَلَّ- لما

---

(١) محمد بن عمر بن الحسين فخر الدين الرازي الشافعي المفسر، إمام وقته في العلوم العقلية، وأحد الأئمة في العلوم الشرعية، توفي سنة ست وستمائة للهجرة. انظر طبقات المفسرين، الداوودي ٢/٢١٤-٢١٧.

(٢) التفسير الكبير ٣٠/١٥٥.١٥٦.

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ٨/٢٣٩.

شاء بعثة الرسول -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ-، وإنزال القرآن عليه، ملئت السماء حرسًا شديدًا وشهبًا، وحُفَّت من سائر أرجائها، وطردت الشياطين عن مقاعدها التي كانت تقعد فيها قبل ذلك؛ لئلا يسترقوا شيئًا من القرآن فيلقوه على ألسنة الكهنة فيلتبس الأمر ويختلط، ولا يُدرى مَن الصادق.(١)

يستفاد من قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾ أن الله تعالى قد يُمكِّن الخلق من شيء ليبتليهم، كما مَكَّن الجن من استراق السمع لحكمة، ولو أراد الله -عَزَّوَجَلَّ- صدهم لفعل، ولكن شاءت حكمته تمكينهم من ذلك، ابتلاء لهم ولمن يضلونهم.

أدب الجن، حين نسبوا الشر لغير فاعل، في حين نسبوا الرشد إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿ وأنا لا ندري أشرٌّ أُريد بمَن في الأرض أم أراد بهم ربُّهم رشدًا ﴾، وهذا الأدب كثير في القرآن الكريم، منه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء:٨٠]، "أسند المرض إلى نفسه وإن كان عن قَدَر الله وقضائه وخلقه، ولكن أضافه إلى نفسه أدبًا كما قال تعالى آمرًا للمصلي أن يقول: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ إلى آخر السورة، فأسند الإنعام والهداية إلى الله تعالى، والغضب حُذِف فاعله أدبًا، وأُسند الضلال إلى العبيد".(٢)

في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ...﴾ وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾ دلالة على أن ليس كل الجن أشرارًا كما يظن العوام، بل فيهم الصالحون.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا﴾، هؤلاء الجن يعلنون ضعفهم أمام قدرة الله -عَزَّوَجَلَّ-، فينبغي على المرء أن يلجأ إلى ربه -عَزَّوَجَلَّ- كما علمه، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ... ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ. وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾، [المؤمنون/٩٨٩٧] لا أن يلجأ إلى الجن

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٨٥/٢٤٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٦/١٤٦.

أو إلى غيرهم ممن لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا.

القرآن الكريم هدى، ويكفي في إدراك هذا الأمر سماعه بتجرد ووعي، وقد أدرك ذلك الجن، وغابت هذه الحقيقة عن كثير من الإنس، فراحوا يبحثون عن تشريعات أرضية يلتمسون فيها الهدى.

الإيمان هو الثمرة الحقيقية لتلقي القرآن ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ﴾ من غير تلكؤ أو تلعثم أو انتكاس في حمأة التقليد، أو الانجرار خلف الضالين المُضِلّين، الذي يعني إلغاء العقل، وتسليم زمامه بيد الآخرين ليفكروا بدله.

في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ مع قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾، ما يبين أن الإيمان يبعد الإنسان عن الرهق، في حين أن الالتجاء لغيره سبب في زيادة الرهق، وإذا كان كثير من العلماء قد فسر الرهق هنا بزيادة السيئات، فلربما لأن المراد به: الإثم، ولو فسر" ولا ظلمًا ومكروهًا يغشاه"[(١)] على اعتبارهما جزاء الإثم، لناسب السياق، ويدخل تحت الظلم زيادة السيئات .والله أعلم.

لا بد للدعاة من الجمع بين الترغيب والترهيب في دعوتهم الناس لدين الله -عَزَّوَجَلَّ- ، ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾، ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾، ولكن بماذا يبتدئ، ذاك ما تحدده أمور أخرى تتعلق بأحوال كثيرة، مما هو مبسوط في مظانه. وليكن الداعية كالطبيب.

في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾، ما يؤكد أن إيمان المسلم كان عن تفكير وإعمال عقل، وليس خضوع الأعمى الذي يسير خلف عقائد موروثة باطلة، ثم لا يعمل عقله ليرى سبيل الرشد. ولعل هذا هو السر في عدم ذكر الذي أوصلهم إلى ما هم عليه من ضلال، فهم لم يكلفوا أنفسهم عناء التفكير في ذلك، بمعنى أنهم لم يتحروا رشدًا ولا غيًا. ولنتأمل في حوار إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وكيف أرجعهم إلى أنفسهم ﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ [الأنبياء:٦٤]، ترى أين كانت أنفسهم... وعقولهم...؟!

(١) زاد المسير، ابن الجوزي ٣٨٠/٨، وانظر روح المعاني ٩٩/١٥.١٠٠

الجن وإن كانوا من نار، لكن عاصيهم سيعذب فيها، ويشار هنا أن لا دلالة لمن ذهب إلى أن مسلم الجن لا ثواب لهم؛ لأن الله تعالى أوعد قاسطيهم وما وعد مسلميهم؛ لأن الله تعالى أعدل من أن يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد.[١]

(١) انظر الكشاف، الزمخشري ٤/٦٣٠. والتفسير الكبير ٢٨/٢٩.

المطلب الثالث

المقطع الثاني: من صفات الركب والداعي إليه

قال تعالى: ﴿وأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْناهمْ ماءً غَدَقًا.(١٦) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا.(١٧) وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا.(١٨) وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا.(١٩) قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا.(٢٠) قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا.(٢١) قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا.(٢٢) إِلا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ ورَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا.(٢٣) حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ ناصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا(٢٤) قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ ما تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا.(٢٥)﴾

مناسبة هذا المقطع للمقطع الأول:

يبين هذا المقطع أن لو انتهج هؤلاء سبيل الاستقامة ﴿لأَسْقَيْناهمْ ماءً غدقًا﴾، ثم نص على أن من يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابًا شاقًا، وفي المقطع السابق ذكر التجاء الكفار من الإنس واستعاذتهم برجال من الجن فزادوهم رهقًا.

في المقطع الأول أظهر الجن عدم معرفتهم بما يراد بأهل الأرض ﴿وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾، وهذا يعني عدم معرفتهم الغيب، ومن ثَمَّ فهم لا يملكون لمن يستجير بهم نفعًا ولا ضرًا، وفي هذا المقطع يبين الرسول -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- أنه لا يملك لهم ضرًا ولا رشدًا، بل لا يملك -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- لنفسه شيئًا لو أراد الله تعالى به أمرًا، ولن يجيره أحد ولن ينفعه إلا تبليغ ما أمر به، وكل هذا تنزيه لمقام الربوبية، فقد اختلط الأمر على المشركين، فراحوا يلتمسون دفع الضر وجلب النفع من غير مظانه.

بين الرسول -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- في هذا المقطع أنه لا يملك لهم ضرًا ولا رشدًا، بل أمر أن يقول ذلك: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾، وفي المقطع الأول ذكر للسبيل الموصلة للرشد، ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾.

ورد ذكر البعث في المقطع الأول في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾، وفي المقطع الثاني زيد في بيان حالهم في ذلك اليوم، وإذا كانوا يظنون أن لا بعث، فسيرونه عيانًا، ﴿حتَى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا. قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾

التفسير الإجمالي للمقطع:

قال تعالى: ﴿وأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ هذا من قول الله تعالى.(١) تعقيبًا على قول الجن: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾، يبين أعظم خصلة يتصف بها هذا الركب، وهي الاستقامة.

وقد اختلف المفسرون في المراد بالطريقة، فذهب بعضهم إلى أنها: طريقة الهدى؛ لأنها مُعَرَّفة باللام، ويكون المعنى: لو آمنوا لوسعنا عليهم. كما قال -عَزَّوَجَلَّ-: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ...﴾ الآية [المائدة:٦٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾. الآية، [الأعراف:٩٦].

وذهب آخرون إلى أنها طريقة الكفر، أي: لو استقاموا على الكفر فكانوا كفارًا كلهم، لأكثرنا لهم المال لنفتنهم فيه عقوبة واستدراجًا، ثم نعذبهم على ذلك. قالوا ومثلها قوله تعالى: ﴿وَلَوْلا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [الزخرف:٣٣].(٢)

ويبدو أن القول الأول أرجح؛ لأن لفظة الاستقامة إنما تكون لمن كان على الإيمان(٣)، ولولا ذلك لأمكنَ الأخذ بالقولين، إذ لا تعارض بينهما، فاستمرار الكفار على

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٧/١٩.

(٢) القول الأول لابن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-، ومجاهد، وقتادة وغيرهم، واختاره الطبري، والقول الثاني قاله محمد بن كعب، والربيع بن أنس، وزيد بن أسلم، والفراء، انظر معاني القرآن، الفراء ١٩٣/٣ - ١٩٤، وجامع البيان ٢٦٨/١٢، ومعالم التنزيل ٢٤١/٨، وزاد المسير ٣٨١/٨.

(٣) انظر المحرر الوجيز ٣٨٢/٥. وفيه يقول: استعارة الاستقامة للكفر قلقة"، وانظر الجامع لأحكام =

كفرهم مُؤذنٌ بعذاب، وثبات المؤمنين على إيمانهم سبب لتنزل البركات. والله أعلم.

وإذن فعلى القول الأقرب يكون المراد: لو استقاموا على طريقة الحق ﴿لأَسْقَيْناهمْ ماءً غدقًا﴾، أي: لوسعنا عليهم في الرزق وبسطنا لهم الدنيا. والماء الغدق: الكثير، وخُص بالذكر؛ لأن الخير والرزق كله بالماء، فأقيم مقامه.(١)

ثم قال -عَزَّوَجَلَّ-: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ أي: "لنختبرهم كيف شكرهم فيه على تلك النعم؟".(٢)

﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾، قال الطبري(٣): "ومن يُعرِض عن استماع القرآن واستعماله يسلكه الله عذابًا صعدًا: يقول: يسلكه الله عذابا شديدا شاقًا".(٤)

ثم يأمر الله تعالى عباده أن يفردوه بالعبادة ويوحدوه في أماكن عبادته، فلا يدعى معه أحد فيها.(٥)، وهذا الأمر الرباني من جملة الموحى إلى النبي -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ-، فهي معطوفة على ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ...﴾ والتقدير: وأوحي إليَّ أن المساجد لله.(٦)

ثم قال تعالى: ﴿وأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عليْهِ لِبَدًا﴾، أي: وأنه لما قام محمد رسول الله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- يدعو الله تعالى، يقول: (لا إله إلا الله)، ويعبد ربه -

---

القرآن ١٧/١٩.

(١) انظر جامع البيان ٢٦٨/١٢، والجامع لأحكام القرآن ١٧/١٩.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٨/١٩.

(٣) محمد بن جريرٍ الطبري، أحدُ أئمةِ العلماءِ المجتهدين، جمعَ من العلومِ ما لم يشاركْه فيها أحدٌ من أهلِ عصرِهِ، وألف في عدد من العلومِ؛ كالتفسيرِ والتاريخِ والقراءاتِ والفقهِ وأصولِ الفقهِ والحديثِ، توفي سنة عشر وثلاثمائة. انظر: تاريخَ بغداد ٢/ ٥٤٨ – ٥٥٥، وطبقات المفسرين، للداودي ١٠٦/٢ - ١١٤.

(٤) جامع البيان ٢٧٠/١٢.

(٥) انظر جامع البيان ٢٧١/١٢، وتفسير القرآن العظيم ٢٤٤/٨.

(٦) انظر جامع البيان ٢٧١/١٢، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/١٩.

عَزَّوَجَلَّ-،...

وقيل: لما قام -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- إليهم داعيًا....

والمعنيان متلازمان .والله أعلم .

﴿ كَادُوا يَكُونُونَ عليْهِ لِبَدًا﴾، أي: كادوا يكونون على محمد جماعات بعضها فوق بعض".[١]

وقد اختلف في المراد بقوله تعالى: ﴿ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ على أقوال:

الأول: أنه إخبار الله تعالى عن الجن يحكي حالهم، والمعنى: أنه لما قام يصلي كاد الجن لازدحامهم عليه، يركب بعضهم بعضًا حرصًا على سماع القرآن.

الثاني: أنه من قول الجن لقومهم لما رجعوا إليهم، فوصفوا لهم طاعة أصحاب رسول الله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- وائتمامهم به في الركوع والسجود، فكأنهم قالوا: لما قام يصلي كاد أصحابه يكونون عليه لبدًا.

الثالث: أن المعنى لما قام رسول الله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- بالدعوة، تلبدت الإنس والجن وتظاهروا عليه؛ ليبطلوا الحق الذي جاء به.[٢]

وهذه الأقوال يمكن الجمع بينها بأن دعوة الرسول -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- جوبهت بفريقين، فريق عاداها، حتى لقد اجتمعوا على إبطالها، وفريق أصغى لها سمعه، وبادر بالإيمان بها.[٣]

﴿قُلْ﴾ أمر رباني يبين أهمية ما سيأتي، وضرورة الإسراع في تبليغه، ﴿إِنَّمَا أَدْعُو

(١) انظر جامع البيان ٢٧١/١٢. والجامع لأحكام القرآن ٢٣/١٩.

(٢) ذكر هذه الأقوال الطبري مرجحًا الثالث منها، انظر جامع البيان ٢٧١/١٢-٢٧٣. ورجحه ابن كثير أيضًا، انظر تفسير القرآن العظيم ٢٤٥/٨.

(٣) قال الزحيلي: "... كاد الجن يركب بعضهم بعضًا ازدحامًا، حرصًا على سماع القرآن، وكاد المشركون من العرب يركب بعضهم بعضًا تظاهرًا على النبي -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- وعلى عداوته..." التفسير المنير ١٧٩/٢٩. وقد جمع بين القولين - كما ترى- ولا مانع من ضم القول الثالث، فلقد تظاهر الكفار من الإنس والجن على إطفاء دعوة الرسول -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ-. والله أعلم.

رَبِّي﴾، فما وجه العجب الذي يوجب عداوتي وأنا إنما أعبد خالقي ورازقي ومدبر أمري؟ إني أدعوه لأنه ربي، ثم عرّض بهم لينبههم على ما هم عليه: ﴿وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾، من جن أو إنس أو حجر أو شجر....

هذا على القول الأول، أما على القول الثاني، فيحتمل أن يكون أمرًا للنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن يبين سبيله الذي يدعو إليه لمن أقبل يصغي لدعوته: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي...﴾، والله أعلم.

ثم بين لهم أنه ليس له إلا البلاغ، فهو لا يملك لهم، لا ضرًا ولا رشدًا، ويلاحظ أن التعبير القرآني عدل عن: ضرًا ولا نفعًا، حيث جعل الرشد مكانه في إشارة واضحة إلى أن الرشد هو غاية النفع. فإذا أطلق فلا يبتغى غيره مما قد يسمى نفعًا. و"في مقابلة الضر بالرشد، إشارة إلى أن الضر لا يكون إلا من متابعة الهوى، وإتباع أهل الضلال، كما أن الخير لا يكون إلا من ثمرات الهدى والاستقامة والتقوى...".(١)

وما دام أن الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لا يملك هذين الأمرين، وقد سبق أن الجن بينوا ذلك أيضًا فلتتجه القلوب نحو ربها، قال ابن كثير: " إنما أنا بشر مثلكم يُوحى إلي، وعبدٌ من عباد الله، ليس إلي من الأمر شيء في هدايتكم ولا غوايتكم، بل المرجع في ذلك كله إلى الله -عَزَّوَجَلَّ- ".(٢)

ثم زاد الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الأمر وضوحًا بأن بيَّن أن لا أحد يستطيع أن يدفع عنه عذاب الله إن أنزله به، إلا أن يؤدي المهمة التي نيطت به، وهي البلاغ ﴿إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ﴾،

ويحتمل أن يكون المراد: أني لا أملك لكم إلا أن أبلغكم ما أمرني الله بتبليغكم إياه، وإلا رسالاته التي أرسلني بها، لا أملك لكم إلا هذا، أما الرشد والخذلان فبيد الله تعالى.(٣)

---

(١) التفسير القرآني للقرآن ١٢٣٧/٢٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢٤٥/٨.

(٣) انظر جامع البيان ٢٧٤/١٢، والتفسير الكبير ١٦٥/١٥، وتفسير القرآن العظيم ٢٤٥/٨، والتفسير =

والقولان - كما هو واضح - صحيحان ولا تعارض بينهما.

وإذا كان الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بهذه الصفة، فكل من يعصي الله، ويعصي رسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الذي قام بالبلاغ عن ربه -عَزَّوَجَلَّ-، فجزاؤه نار جهنم هو ومن كان على شاكلته، والمقصود بالعصيان هنا الكفر بدليل قوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾[١]، فالخطاب إذن للمشركين الذين رفضوا دعوة الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وتولوا عنها، منكرين يوم البعث الذي سيكون فيه الجزاء، ولذا أتبع المولى -عَزَّوَجَلَّ- هذه الآية بقوله: ﴿حتَّى إِذا رَأَوْا ما يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ وهذه الآية الكريمة تشير إلى ما يحدث من استهزاء المشركين بالمؤمنين واستضعافهم لهم واستقلالهم لعددهم... فإنهم سيبقون على هذه الحال حتى إذا رأوا ما كانوا يُوعدون به من العذاب عِيانًا، فسيتبين لهم من المستضعفون؟ المؤمنون أم المشركون.[٢] وفيه تهديد شديد لهؤلاء المشركين.

ثم يأمر الله تعالى نبيه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بأن يقول للناس جميعًا، وبخاصة أؤلئك الذين إذا حدثهم عن يوم القيامة، بادروه بالسؤال عن وقت وقوع هذا الذي يخوفهم به: ﴿...وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء:٥١]، فأمر أن يقول لهم: ما أدري أقريب يوم القيامة الذي وعدتم به، أم سيكون بعيدًا. فمرد ذلك إلى ربي.

من هدايات المقطع الثاني:

في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيناهُمْ مَاءً غَدَقًا.(١٦) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا.(١٧)﴾، أكثر من هداية، أهمها:

الارتباط بين الاستقامة والرخاء، وأول أسبابه توافر الماء، فقد جعل الله تعالى منه كل شيء حي، فالخير والرزق كله بسببه. يقول تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا

المنير ١٧٧/٢٩.

(١) انظر المحرر الوجيز ٣٨٥/٥.

(٢) انظر إرشاد العقل السليم ٣١٨/٦، وتفسير المراغي١٠٤/٢٨، والتحرير والتنوير ٢٤٥/٢٩.

يَكْسِبُونَ﴾. [الأعراف:٩٦]

الرخاء ابتلاء من الله تعالى للعباد، يتطلب منهم القيام بواجب الشكر للمنعم -عَزَّوَجَلَّ-.

﴿وأنَّ المساجِدَ للهِ...﴾ فيه دعوة لتوحيد الله -عَزَّوَجَلَّ- ويتعين ذلك في أماكن العبادة، ويتضمن هذا توبيخًا للمشركين وغيرهم الذين يدعون غير الله تعالى في هذه الأماكن الشريفة، وبخاصة المسجد الحرام.(١)

التزام المرء بدينه والقيام بواجب العبادة لربه أعظم طريقٍ للدعوة، وهي التي قد يُعَبَّر عنها بحال الشخص، وهنا لما قام الرسول -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- ﴿يَدْعُوه﴾ أي: يعبد ربه، كاد الجن لازدحامهم عليه يركب بعضهم بعضًا حرصًا على سماع القرآن . على أحد التفسيرين .

ينبغي على الداعية أن لا ييأس من صدود الناس ومحاربتهم له، إذ إنه في الوقت نفسه هناك من يحرص على سماع ما يدعو إليه ويؤمن به.

العبودية أشرف المقامات، ولذا وصف الله تعالى رسوله -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- في هذا المقام الشريف . مقام العبادة والدعوة . به، كما وصفه بذلك في مقامات أخرى، منها قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ...﴾.الآية [الإسراء:١]

مقام التوحيد أعظم المقامات، ولذا أمر النبي -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ-، بأن يعلن ذلك، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾، ولا ينبغي أن يغفل الدعاة عن هذا الأمر، ولا أن يساوموا عليه.

ينبغي أن يكون توجه العبد نحو ربه في حصول نفع، أو دفع ضر، فهذا رسولنا الكريم -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- يؤمر بأن يعلن هذه الحقيقة لمن التبست عليهم الأمور.

عِظَم منزلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنه يدفع عذاب الله تعالى، وهو وظيفة الرسل عليهم السلام، كما أنه وظيفة أتباعهم ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى

(١) انظر جامع البيان ٢٧١/١٢، وتفسير القرآن العظيم ٢٤٤/٨، والجامع لأحكام القرآن ٢٢/١٩.

بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِ...﴾.[يوسف:١٠٨]

الحذر من الوقوع في المعاصي، إذ هي سبب من أسباب دخول النار، والعياذ بالله.

ينبغي عدم الاغترار بكثرة العدد والعدة، والحذر أن يكونا صارفين عن التوجه إلى الله تعالى، فأعظم ما يدخره العبد هو الإيمان بالله -عَزَّوَجَلَّ-.

لا يعلم أحد متى يوم القيامة، وهذا يوجب على العاقل الاستعداد له، ولبيان قرب هذا اليوم فقد جاء التعبير القرآني عنه بلفظ الماضي، للدلالة على تحقق وقوعه، قال تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾. [النحل:١]

المطلب الرابع
خاتمـــة السورة

قال تعالى: ﴿عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلا مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا (٢٨)﴾.

مناسبتها لما قبلها:

ذَكَرَ الرسول الكريم -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في نهاية المقطع السابق عدم معرفته بوقت ما يُوعدون به، إذ هو من أمر الغيب، والذي يعلم الغيب هو الله تعالى ﴿عَالِمُ الغَيْبِ﴾...أما هو -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فوظيفته البلاغ وقد أدى ما كُلف به، فقد قرأ القرآن الكريم حتى استمع لقراءته من هم شديدو النفرة، ومع ذلك رقت قلوبهم وأذعنوا للحق، فآمنوا بربهم.

بينت الخاتمة أن الله تعالى لا يُطْلِع على غيبه إلا من ارتضى من رسول، وقد أظهر الله تعالى رسولَه المرتضى -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على بعض غيبه، فأطلعه على ما كان من أمر الجن. ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ... ﴾.

في المقطع الثاني بيان واضح بأن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لا يملك للناس ضرًا ولا رشدًا، لا يملك إلا البلاغ، بل إن أحدًا لا يجيره من الله أن قصر في ذلك – وحاشاه -، ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٢) إِلا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ (٢٣)﴾، وهنا في الخاتمة ﴿... لِيعْلمَ أنْ قد أبلغُوا رسالاتِ ربِّهم ﴾.

التفسير الإجمالي لخاتمة السورة:

إن الذي يعلم الغيب هو الله تعالى، ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا. إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ وهذا يشمل الرسول الملَكي والبشري[١]، والمراد: " يطلع الله بعض رسله لأجل ما أراده الله من الرسالة إلى الناس، فيُعلم من هذا الإيمان أن الغيب الذي

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٢٤٧/٨.

يُطلع الله عليه الرسل هو من نوع ما له تعلق بالرسالة وهو غيبُ ما أراد الله إبلاغَه إلى الخلق أن يعتقدوه أو يفعلوه، وما له تعلق بذلك من الوعد والوعيد من أمور الآخرة أو أمور الدنيا، وما يؤيد به الرسل عن الإخبار بأمور مغيبة كقوله تعالى:﴿غُلِبَتِ الرُّومُ. فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ [الروم:٢-٣].

وهذا الاطلاع مُحاطٌ بحَفَظَة ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ من أمامه ومن خلفه حرسًا وحفظة من الملائكة يحفظون الوحي من أن تسترقه الشياطين، فتلقيه إلى الكهنة، فيتكلمون به قبل أن يخبر النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الناس.(١)

﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ...﴾ اختلف في عود الضمير هنا فقال بعض العلماء: ليعلم الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن الرسل قبله قد بلغت عن ربها.

وقال آخرون: ليعلم الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن قد بلغت الملائكة رسالات ربهم.

وقال آخرون: ليعلم الله أن قد أبلغ الأنبياء رسالات ربهم(٢)، والذي يظهر أن عَوْد الضمير لله -عَزَّوَجَلَّ- أرجح، وقد قال الرازي إنه: " اختيار أكثر المحققين"(٣)؛ لأن الأفعال كلها الواردة في السياق لله تعالى: (يسلك، يعلم، أحاط، أحصى)، وهذا أولى من تشتيت الضمائر، والمراد بالعلم هنا: العلم الذي يترتب عليه الجزاء، أو كما يقول العلماء: ليظهر علمُ الله، وهو كقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ...﴾ [البقرة:١٤٣] وكقوله تعالى: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ [العنكبوت:١١] إلى غير ذلك من الآيات التي تدل على أنه تعالى يعلم الأشياء قبل كونها قطعًا لا محالة، ولهذا قال تعالى بعد هذا: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ...﴾(٤)، أي: "علم الله ما عند الرسل فلم يخف عليه شيء. ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ قال ابن عباس: أحصى ما خلق، وعرف عدد ما خلق، فلم يَفُتْه علم شيء، حتى

(١) انظر جامع البيان ٢٧٦/١٢، وزاد المسير ٣٨٦/٨، والتفسير الكبير١٦٨/١٥.

(٢) انظر هذه الأقوال وغيرها في جامع البيان ٢٧٦/١٢، والتفسير الكبير١٧٠/١٥، وتفسير القرآن العظيم ٢٤٨/٨.

(٣) التفسير الكبير١٥/ ١٧٠.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٢٤٨/٨

مثاقيل الذر والخردل".[١]

من هدايات خاتمة السورة:

الغيب كله لله تعالى، وهو -عَزَّوَجَلَّ- يظهر ما شاء من ذلك لمَن يرتضيه من رسله، وهذا الغيب إنما هو فيما له تعلق بالرسالة التي من أجلها أرسل، ولذا ورد التعقيب ﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ﴾. وعليه، فلا يصدَّق بعد هذا البيان أيُّ مدع يزعم أن عنده من علم الغيب كائنًا من كان، وينبغي على الدعاة إشاعة هذه العقيدة في أوساط العوام، حتى لا يستغلهم المشعوذون.

رحمة رب العالمين بخلقه، فهو لم يجعلهم عرضة لتخليط الشياطين أو غيرهم، يعبثون بعقائدهم، وإنما أنزل وحيًا محفوظًا محروسًا.

الثقة الكاملة بالوحي المنزل على الرسل عليهم السلام، وبخاصة على رسولنا محمد -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ-. الذي ارتضاه الله -عَزَّوَجَلَّ-، وأطلعه على ما شاء من وحيه.

سعة علم الله -عَزَّوَجَلَّ-. وفيه رد على الفلاسفة الذين يقولون: إن الله يعلم الكليات ولا يعلم الجزئيات.

(١) معالم التنزيل ٢٤٥/٨

الخاتمة

بعد هذا التجوال مع هذا الركب الكريم، الذي استمع القرآن الكريم وأنصت له فهداه، نستطيع أن نوجز النتائج في الآتي:

- الجن مكلفون كالإنس، وفيهم المؤمنون والكافرون، وبين ذلك.
- القرآن الكريم هدًى ونور، فمن استمع وأنصت هُدِي بإذن الله تعالى، ومَن أعرض وتولى، أو استمع له بقلب لاه، لم يستفد من نوره، ولم يصله هداه.
- الأنبياء لا يعلمون الغيب، إلا إذا أطلعهم الله تعالى عليه، وكذا الجن، ولذا لم يعلموا ما الذي حدث حينما رُموا بالشهب.
- على الإنسان لكي يصل إلى الحق أن يتحرى الرَّشَد، وأن يسعى إليه جاهدًا، وبنية صادقة.
- الجن عالم غيبي، ولذا ينبغي أن تُسْتَقى معلوماته من النقل الصحيح من الكتاب أو السنة الصحيحة.
- لا يملك النفع والضر إلا الله تعالى، وقد نُصَّ على ذلك في هذه السورة ببيان أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لا يملك هذا الأمر، وذلك لما وقر في أذهان كثير من العامة أن الجن يضرون وقد ينفعون.

التوصيات:

أوصي الباحثين بإلقاء المزيد من الضوء على عالم الجن، بجمع الآيات والأحاديث الصحيحة، وبيان معانيها بما يتماشى مع روح الشريعة؛ بغية الوصول إلى تصور واضح وصحيح عن هذا العالم.

أوصي من يتولى الحديث للناس من خطباء ومدرسين ببيان حقيقة هذا العالم، وتنقية أذهان الناس مما علق فيها من خرافات.

المصادر والمراجع

١) الإتقان في علوم القرآن، للإمام أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت .لبنان، ط١(١٤٠٧هـ -١٩٨٧م).

٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، للقاضي أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، وضع حواشيه: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت .لبنان، ط١(١٤١٩هـ- ١٩٩٩م).

٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، خرج آياته وأحاديثه الشيخ محمد بن عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت .لبنان، ط١ (١٤١٧هـ -١٩٩٦م).

٤) البحر المحيط، لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي، دراسة تحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط١(١٤١٣هـ – ١٩٩٣م).

٥) البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي، والشيخ جمال الذهبي، والشيخ إبراهيم الكردي، دار المعرفة، بيروت . لبنان، ط٢(١٤١٥هـ -١٩٩٩).

٦) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين محمد يعقوب الفيروز آبادي، المكتبة العلمية، بيروت .لبنان.

٧) تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى:٤٦٣هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط١ (١٤٢٢هـ-٢٠٠٢ م).

٨) التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، (١٩٨٤م).

٩) تفسير عبد الرزاق، عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت/ ٢١١هـ)، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١(١٤١٩هـ).

١٠) تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، بيروت . لبنان، ط٢ (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).

١١) تفسير القرآن العظيم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت/٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - السعودية، ط٣ (١٤١٩هـ).

١٢) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي. بلا تفاصيل.

١٣) التفسير الكبير، للإمام الفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت. لبنان، ط٣، بلا تاريخ.

١٤) تفسير المراغي، للأستاذ أحمد مصطفى المراغي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

١٥) التفسير المنير، للأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي . دار الفكر المعاصر، بيروت . لبنان، ط١ (١٤١١هـ - ١٩٩١م).

١٦) جامع البيان في تأويل آي القرآن، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، ط٢ (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).

١٧) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، بلا تاريخ

١٨) روح المعاني، للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي، ضبطه وصححه علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، ط١ (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م).

١٩) زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي – بيروت، ط٣(١٤٠٤هـ).

٢٠) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط١ (١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م).

٢١) شرح العقيدة الطحاوية، للإمام علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وقدم له الدكتور عبد المحسن التركي، وشعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت. لبنان، ط١(١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).

٢٢) صحيح البخاري بشرح فتح الباري، للحافظ محمد بن إسماعيل، دار الفكر، بيروت. لبنان، (١٤١١هـ -.١٩٩١م).

٢٣) طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي من علماء القرن الحادي عشر، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم – السعودية، ط١(١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م).

٢٤) طبقات المفسرين، محمد بن علي بن أحمد، الداوودي (المتوفى: ٩٤٥هـ)، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة، ط١ (١٣٩٢ هـ – ١٩٧٢م).

٢٥) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط١(١٤١٢هـ - ١٩٩١م).

٢٦) فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، اعتنى بتصحيحها الشيخ سمير خالد رجب، دار إحياء التراث العربي، بيروت. لبنان، ط ١ (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م).

٢٧) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت/٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣ (١٤٠٧هـ).

٢٨) مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى، عارضه بأصوله وعلق عليه، د. محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي. مصر، بلا تفاصيل.

٢٩) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط١ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).

٣٠) معالم التنزيل، للإمام الحسين بن مسعود البغوي، (ت/ ٥١٦هـ)، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة، السعودية . الرياض، ط٤(١٤١٧هـ١٩٩٧م).

٣١) معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، عالم الكتب، بيروت، ط٣ (١٤٠٣هـ -١٩٨٣م).

٣٢) معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ت/٧٤٨هـ، دار الكتب العلمية، ط١(١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م).

٣٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للإمام الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه عبد الرزاق غالب مهدي، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط١ (١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م).

٣٤) نكث الهميان في نكت العميان، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ)، علق عليه ووضع حواشيه: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١ (١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م).

Sources and references

1) Perfection in the Sciences of the Qur'an, by Imam Abi Al-Fadl Jalaluddin Abdul Rahman Abi Bakr Al-Suyuti, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut - Lebanon, 1st edition (1407 AH - 1987 AD)
2) Guiding the sound mind to the merits of the Noble Book, by Judge Abi Al-Saud Muhammad bin Muhammad bin Mustafa Al-Amadi Al-Hanafi, footnotes: Abdul Latif Abdul Rahman, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut - Lebanon, 1st edition (1419 AH - 1999 AD).
3) Adwaa' al-Bayan fi Idhah al-Qur'an bi al-Qur'an, by Sheikh Muhammad al-Amin ibn Muhammad al-Mukhtar al-Jakni al-Shanqeeti, his verses and hadiths were published by Sheikh Muhammad ibn Abdul-Aziz al-Khalidi, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut - Lebanon, 1st edition (1417 AH - 1996 AD).
4) The Ocean Sea, by Abu Hayyan Muhammad bin Yusuf Al-Andalusi, a study edited and commented by Sheikh Adel Ahmed Abdel Mawjoud and Sheikh Ali Muhammad Moawad, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut - Lebanon, 1st edition (1413 AH - 1993 AD).
5) Al-Burhan fi Ulum al-Qur'an, by Imam Badr al-Din Muhammad bin Abdullah al-Zarkashi, edited by Dr. Youssef Abd al-Rahman al-Mara'ashli, Sheikh Jamal al-Dhahabi, and Sheikh Ibrahim al-Kurdi, Dar al-Ma'rifa, Beirut - Lebanon, 2nd edition (1415 AH - 1999).
6) Insights of the Discriminating People in Lataif al-Kitab al-Aziz, Majd al-Din Muhammad Yaqoub al-Fayrouzabadi, Scientific Library, Beirut, Lebanon.
7) History of Baghdad, Abu Bakr Ahmed bin Ali bin Thabit bin Ahmed bin Mahdi Al-Khatib Al-Baghdadi (deceased: 463 AH), edited by: Dr. Bashar Awad Marouf, Dar Al-Gharb Al-Islami - Beirut, 1st edition (1422 AH - 2002 AD).
8) Liberation and Enlightenment by Sheikh Muhammad Al-Taher bin Ashour, Tunisian Publishing House, Tunisia, (1984 AD).
9) Tafsir Abd al-Razzaq, Abd al-Razzaq bin Hammam bin Nafi al-Himyari al-Yamani al-San'ani (d. 211 AH), study and investigation: Dr. Mahmoud Muhammad Abdo, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut, 1st edition (1419 AH).

10) Interpretation of the Great Qur'an by Imam Al-Hafiz Imad Al-Din Ismail bin Kathir Al-Qurashi Al-Dimashqi, edited by: Sami bin Muhammad Salama, Dar Taiba for Publishing and Distribution, Beirut - Lebanon, 2nd edition (1420 AH - 1999 AD).

11) Interpretation of the Great Qur'an, Abdul Rahman bin Muhammad bin Idris bin Al-Mundhir Al-Tamimi, Al-Hanzali, Al-Razi Ibn Abi Hatem (d. 327 AH), edited by: Asaad Muhammad Al-Tayeb, Nizar Mustafa Al-Baz Library - Saudi Arabia, 3rd edition (1419 AH).

12)) The Quranic Interpretation of the Qur'an, Abdul Karim Al-Khatib, Dar Al-Fikr Al-Arabi. No details.

13) Al-Tafsir Al-Kabir, by Imam Al-Fakhr Al-Razi, Dar Ihya' Al-Arabic Heritage, Beirut - Lebanon, 3rd edition, undated.

14) Tafsir Al-Maraghi, by Professor Ahmed Mustafa Al-Maraghi, Mustafa Al-Babi Al-Halabi and Sons Press.

15) The Enlightening Interpretation, by Professor Dr. Wahba Al-Zuhaili - Dar Al-Fikr Al-Muazamir, Beirut - Lebanon, 1st edition (1411 AH - 1991 AD).

16) Jami' al-Bayan fi Interpretation of Verses of the Qur'an, by Imam Abu Jaafar Muhammad bin Jarir al-Tabari, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut - Lebanon, 2nd edition (1418 AH - 1997 AD).

17) Al-Jami' fi Ahkam Al-Qur'an, by Abu Abdullah Muhammad bin Ahmed Al-Ansari Al-Khazraji, Manahil Al-Irfan Foundation, Beirut, undated.

18) Ruh al-Ma'ani, by the scholar Abi al-Fadl Shihab al-Din al-Sayyid Mahmoud al-Alusi, compiled and authenticated by Ali Abd al-Bari Attiya, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, Lebanon, 1st edition (1415 AH - 1994 AD).

19) Zad Al-Masir fi Ilm Al-Tafsir, Abdul Rahman bin Ali bin Muhammad Al-Jawzi, Al-Maktab Al-Islami - Beirut, 3rd edition (1404 AH).

20) Gold Nuggets in News of Gold, Abdul Hayy bin Ahmed bin Muhammad Ibn Al-Imad Al-Akri Al-Hanbali, Abu Al-Falah (deceased: 1089 AH), edited by: Mahmoud Al-Arnaout, his hadiths were narrated by Abdul Qadir Al-Arnaout, Dar Ibn Katheer, Damascus - Beirut, 1st edition (1406). AH - 1986 AD).

21) Explanation of the Tahawi Creed, by Imam Ali bin Ali bin Muhammad bin Abi al-Izz al-Dimashqi. He verified it, commented on it, and produced its hadiths, and Dr. Abdul Mohsen al-Turki and Shuaib al-Arnaout presented it, Al-Resala Foundation, Beirut - Lebanon, 1st edition (1408 AH - 1988 AD).

22) Sahih Al-Bukhari, explained by Fath Al-Bari, by Al-Hafiz Muhammad bin Ismail, Dar Al-Fikr, Beirut - Lebanon, (1411 AH - 1991 AD).

23) Classes of Interpreters, Ahmad bin Muhammad al-Adna, one of the scholars of the eleventh century, edited by: Suleiman bin Saleh al-Khaza, Library of Science and Wisdom - Saudi Arabia, 1st edition (1417 AH - 1997 AD).

24) Classes of Interpreters, Muhammad bin Ali bin Ahmed, Al-Dawoodi (deceased: 945 AH), edited by Ali Muhammad Omar, Wahba Library, 1st edition (1392 AH - 1972 AD).

25) The authentic, brief chain of transmission of justice from justice to the Messenger of God, may God bless him and grant him peace, Muslim bin Al-Hajjaj Abu Al-Hasan Al-Qushayri Al-Naysaburi (deceased: 261 AH), edited by: Muhammad Fouad Abdel-Baqi, Dar Ihya' al-Kutub al-Arabiyah, Issa al-Babi al-Halabi and Partners, 1st edition (1412 AH). - 1991 AD).

26) Fath Al-Qadeer, Muhammad bin Ali Al-Shawkani, corrected by Sheikh Samir Khaled Rajab, Dar Ihya' al-Tarath al-Arabi, Beirut - Lebanon, 1st edition (1418 AH - 1998 AD).

27) Al-Kashshaf fi Fakīqāt Māziyāt al-Tanzīl, Abu al-Qasim Mahmoud bin Amr bin Ahmad, Al-Zamakhshari Jarallah (d. 538 AH), Dar Al-Kitab Al-Arabi - Beirut, 3rd edition (1407 AH).

28) Metaphor of the Qur'an, by Abu Ubaidah Muammar bin Al-Muthanna, who opposed it with its origins and commented on it, Dr. Muhammad Fouad Sezgin, Al-Khanji Library - Egypt, without details.

29) The Brief Editor in the Interpretation of the Mighty Book, by Judge Abu Muhammad Abd al-Haqq bin Ghalib bin Atiya al-Andalusi, edited by Abd al-Salam Abd al-Shafi Muhammad, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut - Lebanon, 1st edition (1422 AH - 2001 AD).

30) Milestones of Revelation, by Imam Al-Hussein bin Masoud Al-Baghawi, (d. 516 AH), verified and his hadiths published by: Muhammad Abdullah Al-Nimr, Othman Jumah Damiriyah, Suleiman Muslim Al-Harash, Dar Taybah, Saudi Arabia - Riyadh, 4th edition (1417 AH 1997 AD).

31) Meanings of the Qur'an, by Abu Zakaria Yahya bin Ziyad Al-Farra', The World of Books, Beirut, 3rd edition (1403 AH - 1983 AD).

32) Knowledge of Great Readers on Classes and Asaar, Muhammad bin Ahmed bin Othman bin Qaymaz Al-Dhahabi, d. 748 AH, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, 1st edition (1417 AH - 1997 AD).

33) Nazm al-Durar fi Tansab al-Ayat al-Surah, by Imam al-Hasan Ibrahim bin Omar al-Baqa'i, whose verses and hadiths were included and annotated by Abd al-Razzaq Ghaleb Mahdi, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, Lebanon, 1st edition (1415 AH - 1995 AD).

34) Salah al-Din Khalil bin Aybak al-Safadi (deceased: 764 AH) reneged on Al-Himyan's jokes about the blind. He commented on it and annotated it: Mustafa Abdul Qadir Atta, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut - Lebanon, 1st edition (1428 AH - 2007 AD).

فهرس الموضوعات

الموضـــــــــــــوع الصفحة

مقدمة..... ١٢٦
التمهيد: بين يدي السورة..... ١٢٩
عرض مقاطع السورة..... ١٣٧.
المطلب الأول: افتتاحية السورة..... ١٣٧
المطلب الثاني: المقطع الأول: الجن ورحلة الإيمان..... ١٤٠
المطلب الثالث: المقطع الثاني: من صفات الركب والداعي إليه..... ١٥٠
المطلب الرابع: خاتمة السورة..... ١٥٨
الخاتمة..... ١٦١
المصادر والمراجع..... ١٦٢
فهرس الموضوعات..... ١٦٩